

الجامعة نسق علمي ثقافي (بحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية)

د. ماجد علي مصطفى العنبي

جامعة بغداد/ كلية الآداب

خلاصة :

الدول بجامعاتها كما يقولون، لان الجامعة هي ناقلة الثقافة العلمية للأجيال المتلاحقة، وصاحبة التطور والتقدم العلمي في أي بلد، لذلك لابد من توجيه الانظار اليها ومنحها ما تحتاج لكي تستمر في الإبداع والابتكار وتطوير العلوم وانتاج جيل محمل بالأفكار العلمية القادرة على مواكبة التطورات العالمية.

وبما ان الجامعة تقوم على ركائز ثابتة هي الأستاذ الجامعي والطالب والهيكل الإداري والتنظيمي. فلا بد من الاهتمام بهذه المكونات لان أي خلل في احداها يصيب الأخرى وتصبح العملية التعليمية غير مكتملة. وهذا البحث هو محاولة للإجابة على بعض الأسئلة وتشخيص بعض نقاط الخلل في المؤسسة الجامعية واعطاء رؤية علاجية ومقترحات ممكنة التطبيق.

مقدمة :

يعد التعليم في الوقت الحاضر من ابرز مظاهر التقدم في المجتمع وأكثرها تأثيرا في تنميته حيث بات من المسلم به أن تحقيق رغبة أي مجتمع في أن يكون مجتمعا حضاريا وعصريا متطورا يتوقف بالدرجة الأساس على نتائج الجهود التي يبذلها ذلك المجتمع تنمية موارده البشرية والذي يؤدي التعليم والتعليم العالي بشكل خاص دورا بارزا فيها من خلال ما تملكه من قوى بشرية وامكانيات مادية كبيرة منظورة تستخدم من اجل تحويلها إلى مخرجات يستفاد منها في تنمية القطاعات الأخرى.

فضلا عن الدور الذي يؤديه التعليم العالي في حياة الشعوب و الأمم،فهو الذي يحافظ على تراثها ويصنع حاضرها ويرسم معالم مستقبلها. لذلك يعد الموضوع الذي شرعنا بمناقشته والبحث والكتابة فيه هو التعليم بأعتبره احد الأنساق الفرعية المكونة للبناء الاجتماعي حسب نظرية الأنساق.

المبحث الأول

مشكلة البحث أو تساؤلاته :

التعليم في اغلب بلدان العالم يبدأ في سن مبكرة من حياة الأفراد ولأسباب عديدة منها ان الطفل في عمر الست سنوات يعد صحيفة بيضاء ويمكن ان تكتب عليها ما تشاء لذلك اغلب نظريات التعلم في المجال النفسي والاجتماعي والتربوي تؤكد على ان التعليم منذ الصغر هو أفضل ويعطي نتائج ايجابية. وتستمر الدراسة بمراحل متدرجة ولكل مرحلة مواد تدرس حسب منهج يقرر من قبل المختصين في أية جامعة، ويعد العراق من البلدان النامية ومعروف ان البلدان النامية لها العديد من المشاكل قسم منها داخلية تخص ثقافة مواطنيها وقسم منها خارجية مفروضة عليها، حتى ان اغلب المناهج الدراسية في الوطن العربي توصف بأنها مناهج غربية.

ويعاني بلدنا العراق من العديد من هذه المشاكل بسبب الظروف التي مر بها ولازال، حيث يعد مجتمعنا من المجتمعات المأزومة حسب المعايير الاجتماعية، وقد طالت هذه المشكلات النسق السياسي والاقتصادي والنسق التعليمي بكل مكوناته (الجامعة، الأستاذ، المناهج، الطالب والهيكل الإداري عموماً. واذا اردنا ان نفهم النسق التعليمي او التربوي فلا بد من ان ندرس فروع وانظمتها، وهذا البحث هو محاولة للإجابة على بعض الأسئلة الأساسية التي هي موضوع البحث واهمها ما يلي :

- 1- ما هي الجامعة وما هي واجباتها؟
- 2- هل قامت الجامعي بوصفها نسق ثقافي بدورها المطلوب ؟
- 3- هل الجامعة منعزلة عن المجتمع ام متأثرة بكل ما يحصل فيه من تغيرات؟
- 4- ما هو واقع حال الأستاذ الجامعي في الوقت الحاضر ؟
- 5- هل مخرجات التعليم العالي بالمستوى المطلوب ؟
- 6- هل المناهج التي تدرس في الجامعات العراقية ترتقي إلى ما يدرس في نظيراتها ؟
- 7- هل التمويل من ميزانية الدولة يغطي متطلبات الجامعات ؟
- 8- مدى تأثير الوضع الامني على سير العملية التعليمية ؟
- 9- ما هي سبل الارتقاء بالتعليم العالي ؟

أهمية البحث :

تتعدد البحوث والدراسات وتختلف في مواضيعها وأهدافها وما تأتي به من نتائج، ولكن من حيث الأهمية يبقى الحق للباحث ان يدعي بأهمية بحثه على ان يبين ذلك ويقنع القارئ او المتلقي بأن الموضوع المبحوث فيه على قدر من الأهمية، وموضوعنا الحالي وهو الجامعة والثقافة الجامعية وكل ما يتعلق بها له من الأهمية الكبيرة وحسب النقاط التالية:-

1- تأتي أهمية البحث من أهمية الموضوع المدروس الذي تم تحديده وهو الجامعة التي تعتبر المصنع الذي يجهز المجتمع بالكادر المشغل والمنظم لمعظم فروع ومؤسسات المجتمع.

2- الجامعة تستحق ان تدرس وتشخص نقاط الضعف لان الامر يتعلق ببناء الإنسان ومن ثم بناء البلد واذا ما بني الفرد على أساس قويم او سليم فأن بناء البلد يكون سليما.

3- المجتمع العراقي تعرض إلى عدة ازمات وبناءه الاجتماعي تعرض إلى هزات عنيفة اصابته كل شي، والامر يحتاج إلى تشخيص وعلاج، وهذا واجب الباحثين والمختصين.

4- للبحث أهمية علمية أي ممكن ان يضيف هذا البحث مادة علمية يمكن ان يستفيد منها العاملون في مجال البحوث المتخصصة.

الهدف من البحث :

من البديهي ان تكون كل خطوة مقصودة لها هدف وإلا أصبحت هذه الخطوة عديمة الفائدة، فكيف البحث وفي مجال العلم الذي هو أساس بناء كل شي. وبحثنا هذا له عدة أهداف يمكن ايجازها بما يلي :

1- محاولة تشخيص الخلل في الجامعات العراقية كنسق ثقافي من اجل تجاوزه والارتقاء بالمستوى العلمي والثقافي.

2- استخلاص بعض التوصيات ورفعها إلى الجهات ذات العلاقة، والمسؤولين في الدولة العراقية على إن يؤخذ بها.

3- الوقوف على المستوى العلمي لاساتذة الجامعات ومدى توافقه مع النسق الثقافي الجامعي.

تحديد المفاهيم والمصطلحات :

تعد هذه الخطوة (تحديد المفاهيم) من الخطوات المهمة التي تربط عنوان البحث بالعناوين الفرعية له، وهي التي توجه الباحث إلى كيفية السير في الطريق الصحيح من أجل الوصول إلى ربط علمي بين المادة النظرية والواقع، لذلك أجد من الضروري تحديد بعض المفاهيم والمصطلحات ذات العلاقة بموضوعنا وهي:

1- الجامعة

2- النسق

3- الثقافة

1- الجامعة: هي مؤسسة للتعليم العالي والابحاث، وتمنح شهادات او اجازات اكااديمية لخريجها. وهي توفر دراسة من المستوى الثالث والرابع (كأستكمال للدراسة الابتدائية والثانوية). وكلمة جامع مشتقة من كلمة للجمع والاجتماع، كما كلمة جامع، ففيها يجتمع الناس للعلم⁽¹⁾.

2- النسق: التنسيق كتعريف اجرائي يعني تنظيم وترتيب الشيء وجعله متلائم على نظام موحد. والجامعة كنسق ثقافي بمعنى ان الجامعة تمثل نمط ثقافي فاعل في المجتمع قابل لاستقبال الاضافات العلمية الجديدة، وعلى اعتبار ان الثقافة تكتسب وقابلة للتناقل الإنساني.

3- الثقافة: للثقافة تعاريف عديدة وكتب عنها الكثير لكن تعريف العالم ادوارد تايلور عام 1871 لا يزال يحتفظ بقيمته ومعناه حيث عرف العالم الثقافة على انها مجمل معقد يضم العلوم، والمعتقدات، والفن والطبائع، والقانون. والتقاليد هي ايضا كل تصرف او ممارسة يكتسبها الإنسان الذي يعيش في المجتمع⁽²⁾ وهكذا تكون الثقافة امرا متلازم الوجود مع الوضع الإنساني الجماعي. ومن صفات الثقافة انها قابلة للتناقل.

وتظهر الثقافة كرسامال روحي يكون المجتمع مستودعه والدولة في العالم الحديث حارسه، وليس هناك من ثقافة منعزلة ولا تنشأ الديناميكية من تطورات داخلية، بل من تفاعل دائم بين

(1) ar.wikipedia.org

(2) ميشال ايراز ، اشراف بياربونت ، ترجمة مصباح المصد ، معجم الأنثروبولوجيا ، ص462

الثقافات. كما ان كل ثقافة تتأرجح بين رغبة الانفتاح على ثقافات أخرى ومحاولة الحفاظ على خصوصيتها.

المبحث الثاني

النظرية المعتمدة أو المفسرة لهذا البحث

البنائية الوظيفية:

ان العلوم نشأت في فترات متباينة، وكل علم له أسباب ساعدت على ظهوره واغلب العلوم تطورت إلى درجة كبيرة ووصلت إلى مرحلة النظرية التي هي ارقى مراحل العلم، لذا يستوجب على الباحث في اي مجال علمي ان يعتمد على النظريات ذات العلاقة، وفي العلوم الاجتماعية والاثروبولوجية هناك نظريات وعلماء اهتموا بدراسة المجتمع ووضعوا قواعدا للدراسة والبحث، ومن هذه النظريات التي اجد انها تصلح إلى ان تطبق على دراستي هذه وهي النظرية البنائية الوظيفية التي شبهت المجتمع بجسم الإنسان او اي كائن حي اخر الذي يتكون من أعضاء متكاملة ومتساندة فيما بينها وتؤدي كل منها وظيفة معينة، كما ان اي خلل يصيب احد اجزاء الجسم يؤدي إلى خلل الجسم كله.

ومن علماء البنائية الوظيفية العالم الأمريكي بارسونز الذي يرى ان تطور المجتمع لا يتم الا بالمزاوجة بين الخطة النظرية والقضايا التجريبية، وان اللاعب الأساسي في كل العمليات الاجتماعية هو الإنسان ومن المؤكد ان أفراد المجتمع متباينون في عملهم وثقافتهم ومدى قابليتهم على التعلم، والتعليم كما نريد، التعليم كما يجب ان يكون يهدف إلى تغيير المجتمع نحو الأفضل، من خلال بناء الإنسان الأفضل. ومن هذا المنطلق وعلى وفق هذه الرؤيا يصبح التعليم والتعليم العالي بشكل خاص قيمة اخلاقية ورسالة حضارية، فالعالم يجري مستعينا بالعلم ومستخدما احدث وسائل التكنولوجيا.

ان العلم يهدف إلى شرح وفهم مايجري على الطبيعة، اي الظواهر الواقعية، بما في ذلك ما يحدث بأيعاز من العناصر البشرية والالية،

ويبدأ العلم بتسجيل دقيق ومنظم للظاهرة الموضوعية تحت الدراسة، والباحث هو مراقب يحاول تقديم وصف كامل وعام لما يراه ولما يتوقع ان يراه في المستقبل.

والجامعة حسب رأي بارسونز هي نسق فرعي يشمل على مجموعة من الانظمة الفرعية وملزمات يمكن تطبيقها ومناقشتها،حيث يقسم بارسونز النسق الاجتماعي إلى عدة

انظمة وهي النظام الاقتصادي الذي بدوره يتكون من عمليات متتابعة هي انتاج وتوزيع واستهلاك، اما النظام السياسي الذي يقوم على أساس القوة والسلطة والتنظيم، اما الضبط الاجتماعي فهو عبارة عن نوعين الرسمي وغير الرسمي اللذان يحاولان المحافظة على بناء المجتمع واستقراره من خلال التأثير وقوة الاقناع.

وتأتي الجامعة ضمن فرع الاتحادات التي لها حقوق وعليها واجبات شأنها شأن اي مؤسسة أخرى. بمعنى اخر يجب على الجامعة تطبيق القانون والالتزام بالتشريعات الخاصة، كما عليها انتاج العلوم وايصالها إلى الطلبة وتهيئة جيل محمل بالعلوم وقادر على النزول إلى سوق العمل وتحمل أعباءه، كما واجب الجامعة التقيد بالدين والسياسات التي تضعها الدولة وعدم الخروج عليها الا فيما يخدم ويطور العلوم.

إما الملزمات الأربعة للجامعة لابد منها حتى تستمر الجامعة في وجودها فهي (التكيف، التكامل، تحقيق الهدف، الضبط).

بالنسبة للتكيف فإنه يجب على الجامعة **التكيف** وفق ما هو متاح من إمكانيات بحيث تستثمر موارد البيئة وإقامة نظام للإنتاج والتوزيع والاستهلاك. ومن خلال زيادة مواردها واتباعها الخطط المنهجية فانها بإمكانياتها المتوفرة تستطيع ان تتواصل مع محيطها واستقطاب العقول والاموال وبذلك تكون قد حققت احد شروط بقائها وادامة عطائها وخدمة مجتمعها. العامل الاخر الذي له دور في نجاح مؤسسة الجامعة وهو **التكامل** بمعنى ان الجامعة من الواجب عليها ان تتسق مع كافة مؤسسات الدولة وتتسجم معها، لغرض تحقيق اكبر قدر من الفائدة وهذا واضح حيث ان اي مؤسسة لا تستطيع العمل بمفردها في النظام الاجتماعي وحسب البنائية الوظيفية. اما موضوع **تحقيق الهدف** فهذا امر مهم حتى على المستوى الشخصي اذا لم يكن لك هدفا تروم الوصول اليه فأن خطواتك سوف تكون هامشية وغير مدروسة، فكيف على مستوى مؤسسة الجامعة فلا بد من ان تحدد قابلياتها من حيث كادرها واستيعابها لاعداد الطلبة وتزويدهم بالعلم ومنحهم الشهادة، والتنسيق بعد ذلك مع المؤسسات التي بحاجة إلى خدمات هؤلاء الخريجين. وطرح الخطط المستقبلية بشأن مدخلات الجامعة ومخرجاتها.

واخيرا يأتي موضوع **الضبط الاجتماعي** الذي هو نظام ابتكرته المجتمعات للحفاظ على بنائها الاجتماعي، فهو عبارة عن نوعين الاول رسمي ويشمل كل ما هو متعلق بالقوانين

وتطبيقها، وغير الرسمي الذي عبارة عن عادات وتقاليد واحكام معروفة لدى المجتمع، اي ان الجامعة بناء مؤسسي داخل بناء اجتماعي اكبر يجب عليها التقيد بالقوانين والتشريعات بما تخدم الهدف الذي تصبوا اليه.

بعد هذا العرض المختصر لأفكار العالم الامريكي بارسونز حول النسق الجامعي اقول ان من المدهش في الوقت الحالي اي القرن الواحد والعشرون ان تظهر الحاجة إلى توضيح جدوى العلم، فالعلم وحده قادر على حل مشكلات الجوع والفقر والخرافات والعادات البالية التي اكل الدهر عليها وشرب، وهل هناك من يجراً على تجاهل العلم فنحن نلتمس منه العون في كل امر ولا وجود في المستقبل الا العلم ولكل من يناصر العلم.

المبحث الثالث

الجامعة في العراق

البناء الاجتماعي (social structure) للمجتمعات يدرس بصورة متكاملة لا مجزئة وهذا ما تؤكدته اغلب النظريات الاجتماعية، والبناء الاجتماعي للمجتمع العراقي تعرض للعديد من الهزات العنيفة التي كادت تطيح به إلى الهاوية لولا هناك بعض جوانب القوة جعلته يصمد بعض الشيء تجاه المؤثرات سواء الداخلية او الخارجية التي تعرض لها، المؤثرات الداخلية تتعلق بطبيعة الشخصية العراقية المزدوجة كما عبر عنها الدكتور علي الوردي وايضا طبيعة الارث الحضاري الذي يحمله العراقيون وانظمة الحكم المتعاقبة، اما العوامل الخارجية فهي كثيرة بسبب مصالح الدول القريبة والبعيدة وقد يكون موقع البلد وثرواته من اهم العوامل الخارجية.

من هذه المقدمة البسيطة اريد استخلص ان الجامعه في العراق ليست هي المؤسسة المنعزلة والتي تعمل بمفردها وانما هناك مؤسسات أخرى مثل المؤسسة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها مؤثرة ومتأثرة بما يحصل في غيرها من تغيرات. اي ان هذه المؤسسات اصابها التغير بفعل عوامل خارجية وداخلية وتغيراتها اثرت على مؤسسة الجامعة وبشكل كبير.

ان النظام الجامعي لا يقوم ولايتكامل الا بوجود ركائز متساندة (الأستاذ الجامعي والطالب الجامعي والهيكلية الإداريه وما يلحق بها من برامج نظرية وعملية).

استقراء لواقع التدريسي في الجامعات العراقية

الأستاذ الجامعي يشكل الركيزة الأساسية لهذا النظام فهو المعبر عن سلامة قواعده، وصواب منطلقاته، وكفاءة ادائه، وقدرته على تحقيق أهدافه وموقع عضو الهيئة التدريسية يعطيه حقوق متميزه، وفي الوقت ذاته يفرض عليه التزامات ومسؤوليات. واهميه دور التدريسي الجامعي تتبعث من قيامه بمهام ثلاث مترابطه فيما بينها هي التدريس والبحث والتفكير.

فالتدريسي يفترض ان يكون مريباً والبحث يزيده علماً ومعرفه، والتفكير يرشحه لان يكون مفكراً او منظرأ،وعلى الرغم من كون كل مهمه من المهام الثلاث المذكوره تتفاعل فيما بينها بحركة ديناميكية متصاعده،وعمق تفاعلها هو الذي يعزز السلوكية المميزة لعضو الهيئة التدريسية وفاعلية ادائها تعتمد بشكل أساسي على الموهبة والقدرات الذاتية التي يفرزها الاعداد والتدريب والخبرات المكتسبة بالممارسة.

اما البحث العلمي فهو امر ارادي متعلق بالباحث ومدى قابليته على الكتابة والحيادية، غير ان القدرات الذاتية للباحث لا تتطور ولا تعطي ثمارها المرجوة الا من خلال توفير المستلزمات المادية والمعنوية وحيث ان مهمة الدريس تمتزج مع مهمة البحث العلمي لدى التدريسي فأن تفاعل المهمتين في عملية مستمرة ومتصاعده إلى اقصى درجات نضوجها هو الذي يخلق التدريسي او العالم او المفكر.

وفي حالة توافق حلقات المهمات الثلاث في ذلك التدريسي فأن شخصيته العلمية وسلوكه الجامعي يتكامل فهو عن طريق التدريس الفعال يصبح باحثاً وعن طريق تواصل بحثه يصبح بعد نضوجه مفكراً او عالماً وفي هذه المرحلة تكون قد تجمعت السلوكية التربوية والريادة العلمية والمعرفة الشمولية في عالم المعرفة وهذا العطاء الفكري والعلمي المميز فهو يبعث الحركة والتقدم في المجتمع ويحقق طموحات الامة ورسالتها الحضارية.

ان استقرار الظروف التي يعيشها التدريسي الجامعي في العراق يؤشر وجود هوة واسعة بين واقع الحال و الطموح فهناك اعباء مهنية ومعيشية قد انقلت كاهل التدريسي واصبحت هناك معوقات شائكة قيدت حركته واضعفت عطاءه العلمي وحالت بينه وبين أداء رسالته،وبالتأكيد هذا مبعثه جملة من العوامل والأسباب ومن اهمها :-

1- الجانب الامني السائد في البلد بشكل عام ووضوح التدريسي على اعتباره من الشريحة او الفئة الأكثر تهديدا من الجماعات الارهابية ، وبالتأكيد ان امن التدريسي وأمن

عائلته امر ضروري بحيث يجعله قلقا وقليل العطاء في معظم مجالات عمله ، ويكون اهتمامه في كيفية ان يبقى وعائلته على قيد الحياة.

2- الجانب الاقتصادي : يعد التمويل المادي من المقومات الأساسية لعمل اي مؤسسة او فرد، وهذه مسؤولية الدولة اي انها المسؤلة عن اعداد وتوفير الهيئات التدريسية وكل ما تحتاجه العملية التدريسية. فما يزال العراق يعاني من نقص في نسبة الانفاق على التعليم مقارنة ببعض البلدان المتقدمة، وان الجزء الاكبر من الانفاق يذهب كرواتب واجور على حساب بالفصول التشريعية الأخرى. حيث ان هناك نقص في المستلزمات العلمية والفنية والبنائيات مما اثر على نوعية وكفاءة الأداء وهذا ما انعكس بشكل واضح على أداء الأستاذ الجامعي متمثلة بالآتي :-

- قلة مشاركة الاساتذة والباحثين العراقيين في المؤتمرات والندوات العلمية خارج العراق.
- ضعف التواصل والمواكبة العلمية مع العالم الخارجي.
- قلة طلبة البعثات من التدريسيين إلى خارج العراق.
- نتيجة للوضع الامني السيء اضطر بعض التدريسيين إلى مغادرة العراق كمهاجرين.
- بنايات التعليم العالي بسبب قدمها انخفضت جودتها وهذا ايضا احد الأسباب والتي قد تكون معوقا ثانويا امام عطاء التدريسيين.

الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأستاذ الجامعي

ان التحولات الهيكلية التي شهدتها العراق خلال الثلاثة عقود الاخيره كان لها التأثير الفعال في الازواضع الاقتصادية والاجتماعية لعضو الهيئة التدريسية بسبب ارتفاع التكاليف المعيشية والتي زادت من مشاعر الاحباط لديه التي بدأت تسري على نوعية ادائه ووجباته التدريسية وبحوثه العلمي، وخاصة منذ بداية التسعينيات من القرن العشرين، وماتج عنه من ارتفاع كبير في تكاليف المعيشة بصوره عامة، وتعاضم دخل العاملين خارج ميدان التعليم العالي وبخاصة في ميدان القطاع الخاص، وما صاحب ذلك من تغيرات محسوسة في قيم المجتمع انعكس سلبا على النظرة إلى اعمال التدريسيين والباحثين والمفكرين وتبعاً لذلك تراجع الجانب الاقتصادي لعضو الهيئة التدريسية، وكنتيجه حتمية لهذا التراجع المادي والمعنوي، وضع التدريسي الجامعي في موقف لاخيار له فيه غير الدفاع عن نفسه، فاما قبول التراجع الاقتصادي و الاجتماعى والرضوخ إلى ضغوط الحد الأدنى من الحاجات او

البحث عن مصادر دخل أخرى خارج مهامه الجامعية الأساسية لسد حاجات المعيشة الملحة لديه ولدى افراد عائلته.

وقد نجم عن هذا الوضع اثار سلبية منها :-

1- فقدت عملية التدريس سماتها المميزة المعروفة وتحولت إلى عملية روتينية جامدة قائمة على تلقين المعلومات وليس التطور والإبداع.

2- فقد التدريسي ايضاً الرغبة في السعي وراء البحث عن الحقيقة الموضوعية وتطوير قدراته فصار لا يجري بحوثه الا رغبة في الحصول على مرتبة علمية اعلى قد يجني بعض المكاسب الاعتبارية، او توفير مكاسب مادية اضافية لسد نفقاته المعيشية.

وتبعاً لما تقدم فقد التدريسي روح الانتماء إلى المؤسسة العلمية التي يعمل فيه رغماً عنه، واصيب بحالة من الانكسار النفسي ولم يستطع المحافظة على هويته الذاتية والعلمية وقيمه الإنسانية بعد ان ضاقت به السبل وبعد ان ضعفت هيئته وتزعزعت ثقته بنفسه وبالجامعة التي ينتمي اليها واهتزت المثل والقيم المعنوية في نظره، بعد هذا السرد الذي ربما هو تاريخي نوعاً ما لانه يعبر عن حياة الأستاذ الجامعي لفترة تصل عقدين من الزمان، اريد ايصال فكرة ان مهنة الأستاذ الجامعي ليس كأي مهنة ممكن ان تقتل وتنتج بسرعة، أي ان انتاج الأستاذ الجامعي يحتاج إلى فترة ليست بالقصيرة لكي ينتج، وعندما يتأثر هذا المنتج بظروف قاسية وتتغير الكثير من معالم حياته فأن ذلك ليس بامر السهل ولا بد ان يؤثر على مجمل العملية التعليمية برمتها.

وحصل بعض التحسن النسبي في المستوى المعاشي للأستاذ الجامعي عندما طرأ تعديل على رواتب اساتذة الجامعة في عام 2005 و2008 بعد صدور قانون الخدمة الجامعية والخدمة الجامعية المعدل الا انها اليوم لم تكن بالمستوى المطلوب وظل الأستاذ الجامعي غير قادر على الايفاء بكافة التزاماته فقد ارتفعت اسعار المحروقات والنقل وحجبت عنه البطاقة التموينية بحجة ان راتبه يتعدى المليون ونصف، ولم تعالج مشكلة السكن هذا فضلاً عن ما يعانيه اساتذة الجامعات من حالة الفوضى وسوء الوضع الأمني وغياب سلطة القانون مما يدفع بالكثير منهم بالهرب خارج العراق خوفاً من المجهول.

الطالب الجامعي :

إن الشباب في إية امة يعد المصدر الأساسي لنهضتها وتقدمها والدرع الواقعي الذي تعتمد عليه في الدفاع عن كيانها وتحقق أهدافها، والطالب الجامعي ليس مجرد قدرة نعدها للحياة، انها طاقة منتجة فعلا تمارس الحياة، لذلك كان من أهداف التعليم العالي إعداد جيل متحرر من الخوف، قوي البنية، قوي الشخصية والأخلاق، متسلح بمنجزات العصر العلمية والفنية والتقنية، والحقيقة ان الشباب قبل وصوله إلى المرحلة الجامعية يكون قد مر بمؤسسات اجتماعية أخرى منها الأسرة والمدرسة والحي السكني واكتسب منها الكثير فلا تتحمل الجامعة وحدها الهفوات التي يرتكبها الطالب الجامعي.

وأيضاً كما ذكرت سابقاً عن التدريسي فأن الطالب هو ابن هذا المجتمع يعيش فيه ويتعرض ما يتعرض له افراد المجتمع الاخرين.

ان التغيير الاجتماعي الذي اصاب المجتمع العراقي خصوصاً بعد الاحتلال الامريكي للعراق عام 2003 هو تغير كبير بحيث لم تستطع الضوابط الاجتماعية من الصمود اما هجمة التغيرات ويمكن القول ان لوسائل الاتصال تأثيرا فيه شيء من السلبية بحيث ان الطالب الجامعي اصبح يهتم بصفحات التواصل الاجتماعي أكثر من اهتمامه بواجباته الجامعية، كما انه اصبح عبئاً على الجامعة وعلى الاسرة في وقت واحد، وقل انضباطه بسبب تفكك المنظومة القيمية للمجتمع، ومن الملاحظ على طلبة الجامعة كثرة المدخنين والذين يتناولون (العلك) حتى في وقت المحاضرة اضافة إلى الاهتمام الزائد بالمظهر الخارجي وحلاقة الشعر غير الطبيعية ولبس (القلائد وبعض انواع الحلبي) وقضاء جزء كبير من اوقات الدوام في حدائق الكليات، اضافة إلى هذا انعدام روح الطموح لديهم ويتناولون مصطلحات محببة لكل شيء. اضافة إلى ان اغلب الطلبة يتبعون الغش في الامتحان لتصبح هذه العملية ظاهرة بارزة كالمرض المستشري.

وفي الحقيقة هذا الوصف لا ينطبق على جميع الطلبة ولكن من خلال عملنا في هذا المجال وما نلاحظه استطيع القول ان نسبة كبيرة من الطلبة تقريبا ينطبق عليهم هذا الكلام وربما هناك اسوأ من ذلك حيث يوجد الكذب والنفاق والعلاقات العاطفية المشوهة مع الجنس الاخر، وهنا إنا لا اقصد كلمة الطالب الجامعي الذكور فقط وانما حتى الطالبات الجامعيات، ودائماً ما ينتقدون ويطالبون بأشياء ربما هي ليست بحقوق، ثم ان هناك موضوع اخر يلفت الانتباه وهو حالات الغش في الامتحان حيث أصبحت تأخذ اشكال عديدة ويتقنون بها

ويستخدمون التقنيات الحديثة في ذلك، ومن حالات عدم الالتزام والاهتمام بالمحاضرات فأن اغلب الطلاب يأتون إلى الكلية بدون أي مسلتزمات (كتاب، دفتر، قلم.....) وهذا يعني انه لايهتم بأي شيء .

والأمر الآخر الذي لابد من ذكره هو طريقة التعامل مع الأستاذ فقد تجاوز الطالب الكثير من الحواجز والاعتبارات بينه وبين أستاذه، وهنا قد لا يتحمل الطالب هذا الأمر وانما هناك عوامل أخربقد ساعد تبعدم احتراموا التقيد بمتطلبات الحرم الجامعي.

ولابد من الإشارة إلى سوء استخدام الموبايل وتصوير الطالبات او الطلاب في مظاهر غير لائقة ونشر الصور، وعدم تقدير العواقب.

ثم ان الجانب العشائري من المفروض ان يكون بعيدا عن الحرم الجامعي الا انه دخل إلى هذا الحرم بسبب ضعف تطبيق القانون، وادى إلى بعض المشاكل سواء إلى بعض التدريسيين في الجامعة او الطلبة. بحيث ان حتى الحالات المشينة هناك من يدافع عنها، ومثال على ذلك الطالب الذي يغش في الامتحان يأتي في اليوم التالي ومعه بعض رجال العشيرة لغرض الدفاع عنه واعطاء الأسباب والمبررات التي دفعته لهذا الفعل من اجل عدم معاقبته.

الهيكل التنظيمي والإداري للجامعة

بعد ان اسهبنا في تناول الاوضاع العامة لمعانات الأستاذ والسلوكيات غير المنضبطة التي يمارسها الكثير من الطلبة، لابد من التطرق إلى الركن الثالث الذي تستند عليه العملية التدريسية في الجامعات الا وهو الإدارة والتنظيم في التعليم العالي.

ان إدارة الجامعة تتكون من تدريسيين وموظفين، التدريسيين تم التطرق اليهم، اما الموظفين فهم من ابناء المجتمع العراقي ومن مختلف مناطقه ومتباينون في الشهادة، والاخلاق، والامانة، والاخلاص في العمل، ومنهم الفاسد ومنهم الجيد ولا يمكن تحديد نسبة معينة للجيد والفاقد ولكن من خلال المعايشة الميدانية والملاحظة المباشرة لعمل الموارد البشرية في الجامعات استطيع القول انه بالرغم من التحسن في المستوى الاقتصادي لموظفي التعليم العالي وشمولهم بالخدمة الجامعية اسوة بالتدريسيين الا ان هناك قسم كبير من الموظفين تنقصهم الامانة والاخلاص في العمل، بمعنى اخر يوجد المرتشي والفاقد والفضائي والذي تنقصه الخبرة واشكال أخرى وهذا يعطي صورة سيئة عن التعليم ويعيق عمل

الجامعات، واعتقد ان هؤلاء العاملين في الجامعات هم أفراد يعيشون في مجتمع مأزوم تسوده ثقافة (العنف) وثقافة (الفرهود) وثقافة (الشعلية)* حالهم حال بقية افراد المجتمع، ان نسبة كبيرة من افراد المجتمع العراقي اليوم اصبحوا غير منتجين، وتتنطبق عليهم مقولة نحن امة تأكل أكثر مما تنتج، بل امة تأكل ولا تنتج ولا تحترم الوقت، والدليل ان الكثير من الموظفين تأتي إلى مكان عمله ولا يقدم أي عمل

والدكتور علي الوردي يؤكد على ازدواجية الشخصية العراقية بحيث شعاراتهم غلبت عملهم، يدعون شي ويعملون عكسه. الكل يدعي الوطنية وهو ليس بوطني، الكل ينادي ويتكلم بالدين وهو بعيد كل البعد عن الدين، الحلال والحرام اصبح شعارا فقط الذي هو أساس التربية، والاخلاق التي تبنى بها المجتمعات ذهبت، وحلت العشيرة محل الدولة وهذا لايجوز في القرن الواحد والعشرون.

ما اريد قوله ان العاملين في المؤسسة الجامعية هم ابناء هذا المجتمع ولا يمكن ان نفصلهم عن غيرهم فهم متأثرون بما حولهم، ولا يمكن معالجة جزء من كل. واخيرا لا بد من الاشارة إلى ان بنايات التعليم العالي التي هزمت حيث ان عمر قسم منها يتجاوز الثمانين سنة، فلم تعد قادرة على استقبال اعداد الطلبة الجدد،

وقسم منها غير صالحة صحيا رغم بعض الترميمات، وحتى البنايات الاحداث هي غير مؤهلة للاجواء الجديدة للتعليم، فالعالم يتغير وكل دقيقة هناك شي جديد في العالم المتقدم اليوم، والاجهزة الحديثة ان توفرت تحتاج إلى اماكن خاصة وظروف مناسبة للعمل.

اما اماكن الجامعات فهي ايضا غير مناسبة فهناك بعض الكليات وسط الاسواق وهناك كليات بعيدة كل البعد عن مركز المدينة ماعدا موقع جامعة بغداد وجامعة النهرين مازال يحافظ على خصوصيته، ثم ان الخدمات في الجامعة هي ليست بالمستوى المطلوب وخصوصا الكهرباء وما يلحق بها، والصحيات وما يلحق بها، والنوادي الطلابية هي ايضا تعاني من بعض المشكلات. بل حتى مقاعد الطلاب في القاعات الدراسية هي لست من النوعية الجيدة.

المبحث الرابع

* الشعلية هي مصطلح شعبي استخدمه الدكتور علي الوردي في وصف الشخصية العراقية

نتائج البحث والعلاج المقترح

أولاً : النتائج :

أ - نتائج عامة

- 1- الجامعة ليست منعزلة عن المجتمع وإنما هي مستقبلة لنتائج مؤسسات أخرى وهي مكملة.
- 2- ما يحصل في الجامعة سواء كان سلبياً أو إيجابياً هو يتأثر ما يحصل في المجتمع.
- 3- لقد اختلف عمل الجامعة نتيجة لضعف الضوابط الاجتماعية وعدم استطاعتها الصمود أمام التغيرات التي تحصل في المجتمع.
- 4- غياب التخطيط الاجتماعي والاقتصادي في البلد كانت له آثار سلبية على عمل الجامعة.
- 5- التنشئة الاجتماعية والثقافية في البلد تعرضت إلى بعض الضغوط ولم تستطع تادية ما عليها في إنتاج جيل واعٍ مثقف قادر على اكمال دراسته الجامعية على اكمل وجه.
- 6- وسائل الاتصال بجميع اشكالها كان لها الاسهام الاكبر السلبى في توجيه سلوك الشباب الجامعي.
- 7- التعليم العالي في العراق وحسب المؤشرات يراوح مكانه ويعتمد على اساليب قديمة بالمقارنة مع الدول الأخرى.
- 8- مؤسسات التعليم العالي لا تخلو من الفساد المالي والإداري.
- 9- هناك مؤسسات وجماعات مجتمعية أخرى تدخلت في عمل الجامعة وفرضت عليها ضغوطات لصالح اشخاص او احزاب معينة مما انعكس سلباً على مستوى الأداء.
- 10- القيادات في التعليم العالي والبحث العلمي خاضعة للمحاصصة الطائفية وهذا يبعد الجامعة عن أهدافها.

ب- نتائج خاصة بالكادر التدريسي في الجامعة:

- 1- التدريسي في الجامعة هو ابن المجتمع متأثر به، إضافة إلى الضغوط المجتمعية والأمنية التي يتعرض لها، لذا فهو ليس مخير في الكثير من الامور بل مسير.
- 2- بعض التدريسيين هم نتاج هذه الجامعات التي ننتقدها وهي ليست بالمستوى المطلوب القادر على النهوض بالمستوى العلمي اسوة بالجامعات العالمية.

3- الوضع الاقتصادي للتدريسيين في الجامعة ليس أفضل من غيره من موظفي الدولة الا في بعض الفروق البسيطة. فهم يعانون من مشاكل السكن والنقل وارتفاع الاسفار وحجب البطاقة التموينية وغيرها.

4- تعرض بعض التدريسيين إلى حوادث دفعوا دمهم واموالهم ثمناً لها لانهم مستهدفين من جماعات العنف، فبعضهم خطف ودفع الفدية ثم قُتل وبعضهم تعرضت اسرته للتهديد او التهجير.

5- فقد التدريسي روح الانتماء إلى المؤسسة العلمية التي يعمل فيها، ولم يعد بوسع التدريسي ان يحافظ على هويته الذاتية و العلمية وقيمه الإنسانية.

6- الدراسات العليا في الجامعات توسعت ولم تعد تهتم بالنوع وانما بالكم وهذا يؤسس لتدني مستوى الدراسات العليا لما لا تحمد عقباه.

7- التدريسي في الجامعة من المفروض ان يكون من النخبة المجتمعية ذات الموقع المميز ولكن ما نراه اليوم هو عكس ذلك فابسط منتسب في المؤسسة الامنية والعسكرية يمكنه ان يتجاوز على الأستاذ الجامعي بسبب او بدونه.

ج- نتائج خاصة بالطالب الجامعي :

1- لم يعد هدف اغلب طلبة الجامعة الحصول على العلم، بل الحصول على الشهادة لغرض التعيين في دوائر الدولة.

2- الطالب الجامعي نتاج مؤسسات أخرى مثل العائلة والمدرسة وغيرها، ولكن هذه المؤسسات فقدت جزء من وظائفها لذلك الطالب يأتي إلى الجامعة وهو فاقد الكثير من قواعد الحياة العامة والحياة الجامعية.

3- الطلبة ايضا هم أعضاء في هذا المجتمع الذي يعاني من العديد من المشاكل والأزمات وهم معرضون لكل ما يتعرض له افراد المجتمع الاخرون وربما فيهم من يعمل من اجل اعالة نفسه وعائلته.

4- قسم من القرارات التي تصدرها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بخصوص اعادة المرقنين او اعطاء فرصة ثالثة (دور ثالث) للراسبين او اضافة درجات او احتساب بعض سنوات الرسوب سنة عدم رسوب، والتراخي في بعض التعليمات ادت إلى ان يكون الطالب اقل اهتماما بدراسته.

- 5- وسائل الاتصال والتقنية الحديثة جعلت من الطالب يعيش في عالم الوهم والخيال ويهتم بأمور وقضايا لا تستحق الاهتمام
- 6- نتيجة للتغيير الاجتماعي السريع في العراق تغيرت الكثير من العادات والاخلاق الحميدة إلى سيئة وهذا يؤثر على الطالب وتعامله مع أستاذه او المحيطين به.
- 7- بعض المظاهر المميزة للطالب الجامعي ايضا تغيرت فقد تغير ملبسه وطريقة كلامه وطريقة حلاقة شعره وعلاقته مع زملائه فلم يعد ذلك الطالب الذي تعرفه من الزي الموحد او الذي يحمل الكتب او الذي يتردد على المكتبات فهو اليوم متسلح بجواله وعلبة سجائره يبدأ يومه الدراسي جالسا في قاعة النادي ولا يسأل عن مناهجه الدراسي، اما الطالبة فقد اصبح همها ان تبدو بزى جميل يثير الاعجاب مع غلاف المكياج اليومي.
- 8- الطالب الجامعي اصبح عبأ على عائلته لكثرة مطالبه فهو يحتاج ان يغير الموبايل وتعبئة الرصيد وتغيير الملابس والاكل في نادي الكلية ودعوة الاصدقاء وغير ذلك.
- د- نتائج خاصة بالإدارة الجامعية والهيكلية :
- 1- المناهج من المراكز الرئيسية في العملية التعليمية اغلبها قديمة اكل الدهر عليها وشرب ولا تتناسب مع ما وصلت اليه العلوم، فهي بحاجة إلى تطوير وتحديث بشكل مستمر واستحداث اساليب جديدة تحت على التفكير وليس التلقين.
- 2- بعض الجامعات اصبحت خاضعة للمحاصصة وهذا له نتائج لا تحمد عقباه.
- 3- الكوادر الإدارية في مفاصل واقسام الجامعات هي غير كفوءة واثرت على عمل الجامعات سلبا.
- 4- التمويل المادي لايسد حاجات الجامعات قياسا لابواب الصرف الأخرى في ميزانية الدولة.
- 5- قسم من بنايات الجامعات من حيث الموقع والحجم والتصميم اصبحت قديمة ولا يمكن ان تؤدي الغرض المطلوب.
- 6- الخدمات في الجامعات سواء الضرورية او الترفيهية ليست بالمستوى المطلوب وهذا اثر على المستوى العلمي.
- 7- هناك بعض الجامعات تسيرها العشائر فقد دخلت العشيرة إلى الحرم الجامعي وهذا خلل كبير.

8- هناك بعض حالات المحسوبية والمنسوبية التي مصدرها المحاصصة المذهبية والحزبية الضيقة.

9- هنالك امر عام في البلد هو كثرة العطل الرسمية وغير الرسمية وهذا يربك العملية التعليمية ويؤثر على الخطة الدراسية واكمال المنهج المقرر، وخاصة طلبة المرحلة الرابعة فهم ينهون عامهم الدراسي الاخير بفصل واحد وبعده يستعدون لاحتفالات التخرج التي تستمر إلى نهاية العام الدراسي.

ثانيا: العلاج:

اذا كان العقل هو مصدر المعرفة وكان فن الحياة هو نمط العيش واسلوبه فمعنى ذلك ان المعرفة والثقافة العلمية هي التي تشكل نمط حياة المجتمع ثقافيا واقتصاديا وسياسيا.

والثقافة العلمية تعني تلقي واكتساب المعارف والعلوم، وهذا الاكتساب لا يتم الا بعملية الاتصال التي هي فن نقل المعلومة بطرق علمية مدروسة، وبما ان عملية الاتصال تتضمن ثلاثة عناصر هي الأستاذ والمعلومة والطالب، لذلك يجب الاهتمام بهذه العناصر وتطويرها لغرض تطوير العلم الذي هو عامل قوة اقتصادية وسياسية وثقافية في العصر الحالي، والعلم لا ينتج بالاتفاقات الاعتبائية ولا عن الاذواق او المصالح بل عن العلاقات الموضوعية التي نكشفها تدريجيا ومنهجيا.

ان الاهتمام بالتدريسي يمثل نقطة الانطلاق المركزية لإحداث التطور النوعي المنشود اذ هو حامل طاقة التغيير، وفي الوقت نفسه اداته النوعية، فيجب ان يكون لديه قدر كاف من الوعي لمستلزمات التطور بكل جوانبه، واستعادة عضو الهيئة التدريسية هويته الذاتية من اجل استرجاع ثقته بنفسه وبجامعته وتعزيز حريته وحماية وجوده وذلك لان عنصر الهيئة التدريسية إذا كان عليه ان يؤدي مهام حيوية فبالمقابل ان تحمل المسؤولية وأداء المهام على أحسن وجه يستلزمان ضمان حقوقه. ان مسيرة التطور تتطلب قبل كل شي تعيين المشاكل التي ينبغي معالجتها على وفق جدول أولويات مدروسة بدقة من ناحية الأهمية، والعمل بجدية على وضع قواعد تحدد بدقة المواصفات الذاتية والعلمية التي يجب توافرها في من يرشح للعمل كعضو هيئة تدريسية في الجامعات. ورفع مستوى الدراسات العليا عن طريق قبول من هو مؤهل لها لان الدراسات العليا هي للنخبة وليست لمن هب

ودب ، وذلك عن طريق رفع معدلات القبول او ارسال الطلبة المتميزين إلى الخارج، وزيادة عدد الزمالات الدراسية إلى البلدان الأخرى.

وايضا تفعيل التفرغ العلمي للتدريسيين لغرض الاطلاع على ما وصلت اليه العلوم في البلدان العربية والاجنبية. وبما ان البحث العلمي هو ارادة لدى الباحث فهذه الارادة لاتكون ولاتعطي ثمارها الا اذا توافرت المتطلبات المادية والعلمية ، التي في مقدمتها الحوافز الكافية للبحث و التأليف والنشر ، وتمكينه من الوصول إلى مصدر المعلومات من مجالات ودوريات وحضور المؤتمرات ، كما يجب اعادة النظر في القوانين والتعليمات القديمة ومراجعتها كي تخدم التوجهات الجديدة واخيرا وبما ان الأستاذ الجامعي يمثل حجر الأساس في عمل الجامعات فيجب عليها ان تقف طويلا من اجل تحسين وضعه الاقتصادي والاجتماعي.

اما الركيزة الثانية في العملية التعليمية هي المادة التي تدرس فيجب ان يكون الاهتمام بها وتحديثها بصورة مستمرة لكي تتناسب مع ما وصل اليه العالم المتقدم وتقليل الفجوة بين جامعاتنا وجامعات العالم الأخرى.

اما الطالب الجامعي فمن الضروري الاهتمام بتنشئته الاجتماعية منذ الصغر وجعل المدرسة تأخذ دورها اضافة إلى الاسرة والتعاون بين هذه المؤسسات من اجل تهيئة للتعليم الجامعي واستثمار طاقات الشباب وتغذيتهم بكل ما هو وطني ونافع، وايجاد سوق عمل يناسب اختصاصاتهم.

والركن الثالث الذي هو الإدارة والهيكل التنظيمي الذي بدونه لايمكن ان تكون العملية التعليمية كاملة بمعنى اخر يجب الاهتمام بالعاملين في التعليم العالي من غير التدريسيين واختيارهم بشكل جيد. اما البنائيات واماكن الجامعات فيجب ان تمول ماديا من قبل الدولة وحسب الحاجة وتميزها عن غيرها بأنها الركن الذي لا يمكن تجاوزه في العملية التعليمية.

